فن المعارضة والوظيفة الجديدة للشعر في العصر العباسي

الكلمة المفتاح : المعارضة

البحث مستل من رسالة ماجستير

أ.م. د . منى شفيق توفيق **طالب الماجستير عادل كمر صجم**

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

Muna Shafiq@yahoo.com **Adil Kumer@ yahoo.com**

الملخص

يدرس البحث المعارضة الشعرية والوظيفة الجديدة للشعر في عصر غادر فيه الشاعر العربي الصحراء وليلها، وانتقل إلى المدينة وعمارتها وزخرفها، وإذا كانت وظيفة الشعر في مواجهة أسئلة الحياة فإنّ المعارضة لم تفترق عن الالتصاق بمواجهة هذه الأسئلة، فكان أن ظهرت اتجاهات للمعارضة حاول فيها الشعراء جهدهم للتعبير عن ملكاتهم ومتابعة تلك الوظيفة، فلم تكن المعارضة إلا مساحة فنية عبّر فيها الشعراء عن تلك الإنزياحات والثورات الاجتماعية والفكرية التي حفل بها المجتمع العربي في العصر العباسي، على وفق اتجاهات أدائية متميزة. وقف البحث عند البعض منها مثل :(المعارضة والانتماء السياسي ، ومعارضة المثال، والمعارضة التوافقية، ومعارضة رد الجواب، والمعارضة والموضوعات الجديدة)، فكانت هذه الاتجاهات مرآة لتطور الشاعر العربي أداءً فنيا وموقفا فكريا.

المقدمة

لا اختلاف في أنّ العصر العباسي هو عصر تحولات كبيرة في الشعر العربي وذلك " لما حدثت به إزاحة كبرى ، التي كادت أن تبلغ مبلغ الزلزال ، عندما أعيد تركيب البنى السكانية والاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والفكرية ، فكان الانفتاح على ثقافات وحضارات الأقوام الأخرى ، الذي ساعد هذه الأقوام بوضع عصارة أفكارها تأليفا وترجمة وشروحاً وتعليلاً لإذكاء الفكر العربي"[١] ، فكان للشعر الحظ الأوفر في "تلقي تلك التغييرات والاستجابة لها ؛ ذلك إن الشعر كان ولا يزال هو أكثر الأنواع الأدبية استجابة للتغيير الاجتماعي والفكري لطبيعة العلاقة بين لغته وأشكاله وإيقاعاته وبين التجربة الإنسانية المعاشة التي تقتضي تعبيرا فوريا عنها"[٢] .

لكن ما يهمنا فعلا هو" أن القصيدة العربية ، على العموم ، كسبت الكثير من المنطقية في بنائها الفني ، فأصبح النمو العضوي الداخلي متماسكا ، وأمعنت اللغة في التطور واغتنت بقاموس جديد تلاقفه الشعراء فورا"[٣] . وكان التصاق فن المعارضة الشعرية بحبال ذلك التطور متينا ، وسبيلا أدركه الشعراء لتكون لهم عتبة يقفون عليها ، ليتمكنوا من خلالها بيان قدرتهم وموهبتهم الفنية ، وعلى هذا جاء هدف بحثنا وغايته الأولى، فارتبطت خطواته بمتابعة فن المعارضة والوظيفة الجديدة للشعر في العصر العباسي.

التمهيد

لعلّ أفضل تحديد لمفهوم فن المعارضة ما قدمه أحمد الشايب " المعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما ، من أي بحر وقافية ، فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة فيقول قصيدة في بحر الأولى وقافيتها ، وفي موضوعها أو مع إنحراف عنه يسير أو كثير"[٤] .

في العصر العباسي، كان لابدَّ للشعر العربي أن يتأسس من منحنيين من العمل ، منحى قديم تتضح معالمه في أسلوبه وطرائقه ومناهج قوله ، متأثرا بفكر ، وقيمة التقاليد المتوارثة في الشكل والبناء الفني ، ومنحى جديد يعبر عن تجارب وأفكار وموضوعات جديدة هي من مهمة المجتمع الجديد، وكان لابد للشعراء أن ينهضوا بسلاح التجديد لفنهم ، فالتجديد والابتكار في شعرهم في هذا العصر لم يكن ليدعو إلى الانقطاع عن الماضي بل جاء منطلقا منه متواصلا معه، ، وانكفأ الشعراء على البيئة الجديدة ليدركوا منها سبيلا إلى التحرر والانطلاق إلى أساليب جديدة تعبّر عن صور الحياة الجديدة ، فظهر أدباء اتخذوا الابتكار شعارا لهم، فكل فن ابتكر فيه الشعراء العباسيون وأضافوا إليه من ذواتهم وطبعوه بأفكارهم حتى جاء فنهم مطبوعاً برسمهم . ونكاد نتفق مع الرأي الذي يؤمن بأن "أبا العتاهية أجرأ من الرائدة الكبيرة للثورة العروضية في شعرنا المعاصر السيدة نازك الملائكة"[٥] . سنحاول الابتعاد عن الخوض في بحث مسألة الحديث في التجديد في هذا العصر؛ لأنه أشبع بحثا واستقصاء ،ونثبت في اللحظة ذاتها اعترافنا بنجاح الشعراء في تطوير أداء وظيفة الشعر الجديدة الجمالية الفنية إضافة إلى الوظيفة الأخلاقية الوجدانية .

لا يمكن لأحد من الدارسين أن يستغني عن أثر الوظيفة الجديدة على الألفاظ والمعاني والصور، والدفع بها نحو التجويد ، وكان الميل إلى التجويد في الأوزان والمعاني واستجلابها بطريقة فنية جديدة تضع الجمال الفني قيمة وهدفا يسعى إليه الشاعر في نظمه فتتحقق له غايته الأولى في التأثير على الملتقي .

من متون هذه التحولات ولدت اتجاهات التباري بين الشعراء في هذا العصر سواء أكان لمعاصريهم ، أم لمن سبقهم في العصور السالفة ، فكان التزامهم بالمعارضة حدًا من حدود التباري ، وأيضا مرآة لنقل التحول الجديد على الأداء الشعري لعصرهم، لذا جاءت المعارضة كمساحة فنية تساعد الشاعر على التمكن من التعبير عن ملكته ، ومقدرته أمام ما يقدمه غيره من الشعراء على وفق اتجاهات تقترب أو تبتعد خضوعا لفهمه الشعري . وليتمسك بها سلاحا فنيا تساعده على قراءة حاجات عصره ، وصورة عميقة يعكس بها تطور الأساليب والطرق الفنية للأداء الشعري التي خلقتها روح عصره .

نحن إذ نقف عند بعض هذه التوجهات محاولة لمتابعة تطور فن المعارضة ، وكيف نهض به الشعراء في هذا العصر ، إنما يلف قصدنا بعض التوضيح لا أكثر .

المبحث الأول / المعارضة والانتماء السياسي والعقدي

كان الانتماء السياسي ، والتحيز التام له، دافعا قويا ، وموجها عاما ، لكثير من المعارضات في هذا العصر ، ليستطيع بها المعارض من الإعلان عن انتمائه السياسي وقناعته الفكرية لها ، والتمادي أحيانا في الدعوة إليها فيقوم بدور الإعلام لذلك الانتماء ، من خلال حرصه الكبير على عرض الأسباب التي دفعته إلى ذلك الانتماء ، ومن ثم محاولة كسب الأخرين إلى تلك المواقف، بعد اثبات موهبته الفنية أمام متلقيه بشكل أو بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ونستطيع أن نشير في ذلك إلى معارضة أبي تمام لأبي نؤاس ، فهنا نجد أبا تمام يذهب في معارضته إلى تمثيل انتمائه السياسي وتفضيله على انتماء أبي نؤاس الذي آمن به، فهو عندما يجد أبا نواس يرثي الأمين وأيامه ويصوره بصفات تكاد لا تشبه ما موجود في البشر يجد نفسه مضطرا إلى المعارضة، لأنَّه ضمّنها – أي المعارضة – (ردا خفياً) على ذاك الانتماء ، وذاك التصوير ، وذاك التمني بعودة أيام خلافة الأمين بدوام ظلها على الناس . فجاءت قصيدته أشبه بالانحياز إلى التيار السياسي الذي تزعمه المأمون.

من هنا اتخذ أبو تمام من فن المعارضة فرصة لإثبات ولائه وعرض تحديه الفني للممدوح وانتمائه السياسي لـه وإعلانا صريحا بتفضيل خلافة المأمون وأيامه على ما سبق من الأيام فنراه يقول[٦]: الكامل

دِمَـنٌ أَلَـمَّ بها فَـقالَ سَـلامُ كَـم حَلَّ عُقَدَةَ صَـبْرِهِ اَلإلَمَـامُ ؟
نُحِرَتْ رِكَابُ القَومِ حـتَّى يَـعْبُرُوا رَحْلَي لَقَدْ عَـنفُوا علىَّ ولامُـوا
وَقَفُـوا عَـلـيَّ اللَّـوْمَ حَـتَّى خَـيَّلُوا أَنَّ الوُقُوفَ علـى الـدِّيارِ حَـرَامُ
مَا مَـرَّ يَـوْمٌ وَاحِـدٌ إلَّا وَفِـي أَحْشَائِـه لِمَـحِـلَّـتيْكِ غَمَـامُ
أعْوَامَ وَصْـلٍ كَانَ يُنْسِى طُولَـهَا ذِكْرُ النَّـوَى فكـأنَّـها أيَّـامُ
ثـمَّ أَنِيْرَتْ أيّـامُ هَـجرٍ أرْدَفَـتْ بَـجَوى أسً فَـكأنَّهَا أعْـوَامُ

فهذا النص عبارة عن رساله فنية يرد بها أبو تمام على أبي نواس ملتزما بالبناء نفسه الذي التزم به أبو نواس .من(مقدمة ، حسن انتقال ، غرض رئيس ، خاتمة) فكما امتلك أبو نؤاس سرا إبداعيا في مقدمته التقليدية التي جعلها تعبر عن شكواه من الأيام ، فجاء تحدي أبي تمام لما صاغه ، وقدمه أبو نؤاس ، بمحاولة المجاراة في البناء ، والدلالات ، والمعاني وبما تسمح له موهبته من فتح أفق فني جديد، فجاءت مقدمته كذلك تحمل سرًا جماليًا رائعًا، وكأننا به ذاك المتحدي الفني لما نظمه وعرضه أبو نواس في قصيدته التي يقول فيها [٧] : الكامل

يَـا دَارُ! مَـا فعَلتْ بِـك الأيامُ؟ ضَامِتْكِ وَالأيَـامُ لَيْسَ تُضَـامُ
عَرَمَ الزَمَانُ على الذِّينَ عَهَدْتَهُمْ بِكَ قَاطنيْنَ وَلِلـزِمَانِ عُـرَامُ
أيَامَ لا أغشَى لأهْلِـكِ مَنْـزلاً إلّا مُـرَاقَبَـةً عـلـيَّ ظَـلامُ
ولَـقدْ نَـهْزتُ مَعَ الغُواةِ بَدَلوهِمْ وَأسْمَتُ سَرْحَ اللهِو حَيْثُ أسَامُوا
وبَـلـغْتُ مَـا بـلَغ أمْرؤٌ بَشِبَابِهِ فَـإذا عُصَـارةُ كُـلّ ذاكَ أثامُ

فأبو نواس بعد أن يبث حزنه ولوعته من فعل الأيام وعلى ماضٍ ولى ، يبدأ بالانتقال إلى مدح الأمين متعمدا توظيف لفظة (ملكُ) للتدليل على قوة خلافته واستمرار ولائه له فيقول [٨] :

مَلِـكٌ ، إذا عَلِقتْ يَداكَ بِحَبْلِهِ لاَ يَعتريكَ البُؤْسُ وَالإعْدَامُ
مَلِـكٌ ، تَوّحَدَ بالْمَكَارِمِ وَالعُلى ، فَرْدٌ ،فقَيدُ النّدِّ فِيّه ، هُمَامُ

مَلِـكٌ أغَرُّ ، إذا شَرَبْتَ بوَجْهِهِ، لَمْ يَعْدُكَ التَبْجِيلُ وَالإعْظَامُ

أما أبو تمام بعد أن حاول الالتزام بالمقدمة التقليدية التي يقابل بها بناء قصيدة أبي نواس ، نراه ينتقل كذلك إلى مدح خليفته ، فيتخذ من خطاب الخليفة بؤرة للإلتقاء والتحدي في اللحظة نفسها فيجدد التأكيد على خطابه للممدوح مكررا اللفظة نفسها (ملك)، ومستغلا إياها في تفجير طاقة الاشتراك بين النصين في خطاب الممدوح . يقول أبو تمام [٩] :

وَتَكَفّلَ الأيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدْدَنَا أنّنَا أيْتَامُ

مْستَسْلِمٌ لله سَائِسُ أُمَّةٍ لِذَوِيّ تَجَهْضُمِها لهُ اسْتِسْلامُ

يتجَنَبُ الآثَامَ ثُمّ يَخَافُها فكأنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ

يَا أيُّهَا المَلِكُ الهُمَامُ وَعَدْلُهُ مَلِكٌ عَلَيْه فِي القَضَاءِ هُمَامُ

ما زالَ حُكْمُ اللهِ يُشْرِقُ وَجْهُهُ في الأرْض مذْ نْيطتْ بكَ الأحْكامُ

على هذا جاءت معارضة أبي تمام لتعبر عن اتجاه جديد في المعارضة يعلن من خلالها المعارض عن سعيه للوصول إلى بؤرة نصية جمعت بين المقاصد الفكرية والأداء الفني للقصيدة.

لم تقتصر قصائد هذا الاتجاه على الانتماء السياسي الصريح بل نجد بعض المعارضات قد تولدت من مواقف واتجاهات عبّر بها الشعراء عن انتمائهم العقائدي الذي انتموا له ، كما في قصيدة مروان بن أبي حفصة في مدح الخليفة المهدي حين عقد البيعة لابنه الهادي[١٠] : (الكامل)

يَا ابْنَ الذِي وَرِثَ النَّبيَّ مُحَمَدًا دُونَ الأقَارِبِ مِنْ ذِوي الأرَحَامِ

الوَحِيُ بَيْنَ بَنِي البَنَاتِ وَبَيْنَكُمْ قَطَعَ الخِصَامُ فَلاَتَ حِيْنَ خِصَامِ

مَا لِلنِّسَاءِ مَعَ الرجَالِ فريْضَةٌ نَزَلتْ بِذلِكَ سوَرَةُ الأنعَامِ

أنَّى يَكُونُ وَليْسَ ذَاكَ بكَائِنٍ لِبَنِي البَنَاتِ وَرَاثَةُ الأعْمَامِ

فيعارضه محمد بن يحيى التغلبي فيقول: الكامل

لِمَ لا يَكُونُ ، وأنَّ ذَاكَ الكَائِنُ لبَنِي البَنَاتِ وَرَاثَةُ الأعمَامِ

للِبنْتِ نِصْفٌ كَامِلٌ مِنْ مَالِهِ وَالعَمِ مَتْرُوكٌ بِغَيرِ سِهَامِ

في مثل هذا التوجهات من المعارضات ، نراها تُبنى على المحاججة ، ورد كل ما يقدمه النص الأول من أدلة منطقية وفقهية وأيام تاريخية ، فنرى سعي المعارض إلى إبطال تلك الحجج والأدلة ، فيخلو النصان من العاطفة والصور الشاعرية والخيال الصوري .

الارتكاز الأول هو صحة المنطق وقوام الفكر ، ومركز النص الثاني يدور في أفق ومركز النص الأول ، ويكون تعقبه للمعاني التي طرحها النص الأول . هو البؤرة وهو أفق الاشتراك بين النصوص المتعارضة . ونرى نصا آخرا يكشف عن نفس التحزب والانتماء العقدي، في معارضة الكميت الأزدي، يقول فيها مادحا آل الرسول ﷺ[١١]: (الطويل)

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إلى اِلبيْضِ أطرِبُ وَلاَ لَعباً مِنِّي وذُو الشّيْب يَلعْبُ

فَـــمالِـــيَ إلَّا آلُ أحمدَ شِيعَةٌ وَمالِيَ إلَّا مذهبُ الحقِ مذهبُ

إلَيكُـمِ ذَوِي آل النّبـِيّ تَـطَـلعَتْ نَوازِعُ منَ قلِبي ظِماءٌ واليَبُ

هُـمُ شَـهِـدُوا بـَدْراً وَخَـيْبَر بَـعَدْهَا وَيَوْمَ حَنْيَنٍ وَالدمـاءُ تَصبّبُ

فَـإنْ هِـيَ لَـمْ تصَلْحْ لِقومٍ سِواهُمُ فإنَّ ذَوِي القُرَبَى أحَقُّ وَأقـرَبُ

التي عارض فيها ذا الرمة في قصيدته التي يمدح فيها عبد الملك بن مروان[١٢]: البسيط

مَـا بَالُ عَيْنِكَ مِـنْهَا المـاء ينسكـب كَـأنّهُ مِـنْ كُـلى مَـفرِيَّةٍ سَـربُ

وَفْـرآءَ غَرْفِيةٍ أثْأى خَوَارِزُهـــا مُشلشلٌ ضَيَّعَتْهُ بَيَـنْـها الكُـتـُبُ

أستحْدَثَ الرَّكْبُ عَنْ أشيَاعِهِمْ خبـراً أمْ رَاجَعَ القَلْبَ مِنْ أطْرَابِه طَـرَبُ؟

مِنْ دِمْنَةٍ نَسَفَتْ عَنْهَا الصّبَا سُفـعـاً كَـمَا تُنَشَّرُ بَـعْدَ الطَّيَّةِ الكتـُبُ

سَيلاً مِنْ الدّعص أغشَتْهُ مَعَارِفَهـا نكْباءُ تَـسحَبُ أعلاهُ فَيَنسحـــِبُ

لا بل هو الشوقُ من دارٍ تَخَوَّنَـهـا مَـرَّا سحابٌ ومَـرَّا بارحٌ تَـرِبُ

فرغم ما بلغه الشاعران ، من قوة لغة ، ودقة سبك وعمق معاني وحسن تصوير، لكن نصيهما ، لم يبتعدا في غرضهما العام عن كشف انتماء الشاعرين العقدي أولا، ومن ثم انتمائهما السياسي ثانيا ، الذي نراه من معارضة الكميت لذي الرمة هو التزامه بنفس البناء الداخلي للقصيدة العربية مع حرصه الواضح الابتعاد عن اللغة الصعبة الموغلة في ارتباطها بالطبيعة الصحراوية فجاءت لغته مرتبطة بروح المدينة والبيئة الجديدة، فتمسك ذو الرمة بمعجم شعري يعكس انتماءه البدوي مُعلَنا من خلال استعماله لمفردات مثل(مشلشل، والدعص، وأثأى، ...)، وتمسك الكميت بمعجم شعري يعكس انتماءه الحضري أو في أقل

غاية يعكس رفضه للتعبير بذلك المعجم الصحراوي فنراه يستعمل مفردات مثل(طرب، ومذهب، ويلعب،...)، ولذلك يمكن لنا الحكم على إن المعارضة قد تشكلت بمساحة فنية استطاع بها ومن خلالها الشعراء صبغ روح عصرهم ، وكذلك سمح لهم هذا التوجه من المعارضة من تقديم شخصيتهم أمام ممدوحهم ، فعلى الرغم من أن الغرض الرئيس قد يأتي متلبسا بلباس المدح والولاء الكامل للممدوح لكنها لا تنقطع عن اصرار الشاعر باستعمال مستوى لغوي يؤمن به سلاحا فنيا يستطيع من خلاله التعبير الصادق عن مشاعره.

المبحث الثاني / معارضة المثال

يأتي هذا التوجه عندما يجد الشعراء أنفسهم أمام مثلٍ أعلى، انحازت نفوسهم إلى الوصول إلى نتاجه ، فذابوا عشقا وأملاً وتزاحمت الآمال في صدورهم للوصول إلى درجة أدائهم ، فكانت المعارضة اختبارا حقيقيا لموهبتهم الشعرية، ونستطيع أن نمثل لهذا الاتجاه معارضات الشريف الرضي الذي كان كثيرا ما يحاكي فيها المتنبي في" أفكاره ، وصوره ، ونفسيته ، وبقي خاضعا له في فلسفته في الحياة والناس"[١٣] ، كما في قصيدته التي يقول فيها : الوافر

نُغَالبُ ثُـمَّ تَـغلِبُنَا اللـيالـي وَكَمْ يَبْقَى الرميُّ عَلَى النِبَـالِ
وَنَطْمَعُ أنْ يَمَلَّ مِنَ الْتَقاضِي غَرِيْمٌ لَيْسَ يَضْجُرُ بالمـطالِ
أ تَنَظْرُ كَيْفَ تَسْفَع بالنَوَاصِيّ لَـيَالِيْنَا وَتَـعْثُـر بـالِجبَالِ
يَحـِطُ السَيْلُ ذِرْوَةَ كلِّ طَـوْدٍ رَهُـوُنا بالْجَنـاَدِلِ وَالرِمـالِ
هـِـيَ الأيَّامُ جَائِرةُ القَضَايَا وَمُـلحقةُ الأوَاخِرِ بِالأوالـِي
يُمَـــنِّينَّ الوُرُودَ فَإنْ دَنَوْناَ ضَرَبْنَ عَلَى الموَارِدِ بالحِبـالِ

التي عارض فيها المتنبي في لاميته [١٥] : الوافر

نَـعِدُّ المَشْرَفِيّةَ والـعَوَالـي وَتَـقْتُلُنا المَـنُونُ بِلا قِتَـالِ
وَتـرْتِبطُ السَـوَابِقُ مُقرَبَـاتٍ وَمَا يَنْجِينَ مِـنْ خَبَبِ اللياَلي
وَمَـنْ لَم يْعَشَقِ الَدُنيْا قَديماً وَلَكنْ لا سَبيْلَ إلَـى الوِصَالِ
نَصِيبُكَ في حَيَاتِكَ مِنْ حَبيْبٍ نَصْيُبكَ فِي مَنامِكَ مِنْ خَيَـالِ
رَمَانِي الدَهرُ بالْأرْزَاءِ حَتىَّ فُؤادِيَ فِـي غِشَاءٍ مِـنْ نِبالِ
كـأنَّ المَوْتَ لَمْ يَفجَعْ بِنَفْسٍ وَلَـمْ يَـخطُرْ لِمَـخلوقٍ بِبَالِ

نجد فيها الإعجاب الواضح من الشريف الرضي لروح المتنبي ومحاولة مسايرة سنن المتنبي فبقي محاكيا له في " لغته وألفاظه ومعانيه"[١٦] وروعة الصياغة. وكذلك نجد الشريف الرضي ينظم معارضة أخرى في قصيدته[١٧] : الطويل

عَلَى العزِّ مُـتْ لا مِيتَةٍ مُسْتَـكِينَةٍ تَزِيلُ عَـنْ الدُنْـيَا بِشُـمِّ المُـرَاغِمِ

وَخَاطِرْ عَلَى الجُلَّى خِطَارَ ابْنَ حُرَّةٍ وَإِنْ زَاحَمَ الأمرُ الـعَظيمُ فَـزَاحِمِ

التي عارض فيها بشار بن برد في قصيدته [١٨] : الرمل

لَمْ يَطُلْ لَيْلي وَلَكِنْ لَمْ أَنَمْ ونَفَى عَنّـي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَـم

وَإِذاَ قُـلْتُ لَهَا جُودِي لَنـاَ خَـرَجَتْ بالصَّمْتِ عن لا وَنَعَـم

نَفَسي يَا عَبْدَ عَنَّى واعلَمي أنـّـني يا عَبْدَ من لَحْـمٍ وَدَم

على الرغم من اختلاف البحر الذي التزمه الشريف الرضي في قصيدته هذه، لكنّنا نجده يشحذ كل همته ويستدعي كل طاقته الفنية بغية الوصول إلى مستوى من يعارضه وأداءه الفني، بعد أن يحقق اشتراك نصي من وحدة الخطاب الروحي والمستوى اللغوي المحافظ على جزالته وتماسك ألفاظه المضاف إلى وحدة القافية، فكانت بحق معارضة تشهد للشريف بقدرته وموهبته .

تنتمي قصيدة أبي تمام التي يعارض بها بشار بن برد إلى الاتجاه نفسه في معارضة أستاذه ، ومثاله في قصيدته التي يبدأ فيها بالقول [١٩] : الطويل

هُنَّ عَوَادِيْ يُوسِفَ وَصَواحِبـهِ فَعَزَّمَا فَقَدْمَا أدْرَكَ السؤلَ طَالِبـُه

إذا المرءُ لم يستخلصِ العزمَ نفسُهُ فـذروتـُهُ للـحادثـاتِ وغاربـُه

أعَاذِلِـي مَـا أخْشَنَ الْلَيْلُ مَرْكَباً وأخشنَ مِنـهُ فِي المُـلِمَاتِ رِاكبُـه

معارضا فيها بشار في قصيدته [٢٠] : الطويل

جَفَا ودّهُ فازْوَرَّ أوْ ملَّ صَاحِبـهُ وأزْرَى بهِ أَنْ لا يَزالُ يُعاتِبـُه

خـلِيْلَيَّ لا تَسْتنكِرا لـوْعَةَ الـهَوَى وَلا سَلْوةَ المَحْزونِ شَطتْ حَبَائِبـُه

شَقيُّ الْنَفسِ مَا تلقَيَ بُعَيْدة عَينِـهِ ومـا كـانَ يُـلـقِيَ قلبُهُ وطبائِبُه

أخُوكَ الذِّي إنْ رِبْتَهَ قال إنّمَـا أرِبْـتُ إنْ عَـاتَبَته لانَ جَانِيـبُه

يمكن ملاحظة أن المعارض يلجأ إلى هذه المعارضات وينظمها عندما يجد نفسه "متوافقا مع شاعر يقتنع بأفكاره خاضعا ومؤمنا بفلسفته وبقدرته الشعرية متمنيا الوصول إلى

مكانته ، وتكون دائما بدافع التقدير والإعجاب والتحدي للذات ،فتعمل المعارضات على صقل موهبتهم وإضاءة طريقهم في محاولاتهم لابتكار المعاني الجديدة [٢١] ، فيكون للإيقاع الفني الذي يحققه الإطار الخارجي عاملا يُسهّل من استلهام المُعارِض لتلك القدرة الفنية في إثبات ذاتها أمام مثالها. نتلمس التوجه نفسه في معارضة أبي فراس الحمداني في قصيدته التي يقول فيها [٢٢]: (الطويل)

أمَـــا لِجميْلٍ عِنْدَكُنَّ ثَـــوَابُ وَلا لمُسيءٍ عنْـدَكُـنَّ مَـتـابُ ؟
وَمَـــازَلتُ أرْضَى بْالقَلِيْل مَحَبّةً لَـــدَيْهِ وَمَا دُونَ الكَثيرِ حِجَـابُ
كَذَاكَ الودَادُ المَحِضُ لا يُرْتَجَى لَهُ ثَـــوَابٌ وَلاَ يُخشَى عَليْه عِقـابُ
إذَا نلتُ مِنْكَ الـــودُّ فالكُلُّ هَيّـــنٌ وَكـُـلُّ الَذيَّ فَوْقَ التُرَابِ تُـرَابُ

التي عارض المتنبي في قصيدته [٢٣]: الطويل

مُنَىً كُنّ لِي أنَّ البياضَ خِضَـابُ سيَخفِى بتبَييض القُرونِ شَبابُ
وَهَلْ نافِعِي أنْ تُرفعَ الحُجْبُ بَيْنَنا وَدُونَ الـذِي أمَلّتُ مِنْكَ حِجَـابُ
أقِلُّ سَلامِي حُبَّ مَـا خَفَّ عَنْكُمُ وَأسْكـُتُ كَيْمَا لا يَكُونَ جَـوَابُ
وَمَا أنا بِالبَاغِي عَلُى الحُبِّ رَشْوَةً ضَعِيفُ هَوىً يُبغى عَليهِ ثَـوَابُ
إذَا نِلْتُ مِـنْكَ الـوّدُّ فالمَالُ هَيِّنٌ وكـُلُّ الذَيّ فوّقَ التُرابِ تُـرَابُ

إن الملاحظ على مثل هكذا معارضات أنّها تنحو منحى النظم الشعري القديم من حيث البناء الشكلي وقوة التراكيب، أما في مستوى الارتباط والالتزام بين الشعراء في المعارضة فتكون وحدة الإطار والغرض هو العنوان الأول للمعارضة، فنرى أبا فراس غير قلق من إعادة استعمال نفس التراكيب الصياغية؛لأنّه أحس فيها بعدا آخرا وفرصة جديدة تهيأت أمامه لإعطائها روحا جديدة .

المبحث الثالث / المعارضة والموضوعات الجديدة

سبق أن نوهنا إلى أن شعر هذا العصر قد خضع إلى موضوعات جديدة وأغراض سيطرت على روح الشعراء وخيالهم وأفكارهم فأخذوا يتبارون فيها، دافعهم بذلك قناعتهم بضرورة توافق الشعر مع روح العصر الجديد الذي يحيون فيه، فكان طابع نتاجهم يغلب عليه الفن والجمال وروح الابتكار والسعة في الخيال مع الموائمة الرائعة في التعبير وحسن اختيار الألفاظ والدقة في التصوير.

ومن هذه الأغراض ومعارضاتها ، معارضة ابن الرومي في وصفه للمعركة بين الورد والنرجس تحيز فيها للنرجس، إذ يقول [٢٤] : الكامل

خَجِلتْ خُدوْدُ الوَرْدِ مِنْ تْفضِيلِهِ خَـجَلاً تورْدُّهَا عَلَيه شَاهدُ
لِلنَرْجِسِ الفَضْلُ المُبينُ وَإن أبى اَبٍ وَحَادَ عَنْ الطَرْيقةِ حائدُ
يَحكي مَصَـابيْحَ السمَاءِ وَتارَةً يَحكي مَصَابيحَ الوُجُوهِ تراَصَدُ
وَالوَرْدُ – لَوْ فتَشَتَ– فَرْدٌ فِي اسْمِهِ مَا فيْ المِلاحِ لهُ سمِيٌّ وَاحدُ

يذكر صاحب زهر الآداب قصيدة أحمد يونس والتي فيها [٢٥](راداً على ابن الرومي) : الكامل

يـــا مَنْ يَشْبَّه نرْجساً بنـِواظِرٍ دُعْـجٍ تَنَـــبّهْ إنَّ فهْمَكَ راقــدُ
والـــوَرْدُ أصْدقُ للـخُدَودِ حِكَايةً فَعَلامَ تجَـــحْدُ فَضْلَهُ يَا جَاحدُ
إن قُلْتَ إنّ الـــوَرْدَ فرْدٌ فِي اسْمه مَـــا فِي المِلاحِ لهُ سَمِيٌّ وَاحِـدُ
فالشمسُ تُفردُ باسمِها والمشتـــري والبدرُ يُشرَكُ في اسمه وعُطـاردُ

قد نجد المعارضة في هذا العصر تجري على لسان الخلفاء ومحاكاة بعضهم الآخر، كأبيات المستعين التي يقول فيها[٢٦]: الكامل

عجبًا يَهابُ الليثُ حدَّ سنانـــي وأهـابُ لحظَ فواتِرِ الأجفـــانِ
وأقارِعُ الأهـوالَ لا مُتـــبًا منها سِوىَ الإعراضِ والهـــجرانِ
وتَملكتْ نفسي ثَلاثٌ كالـدُّمـى زهـرُ الوجـوهِ نواعِـمُ الأبـــدانِ

التي يعارض فيها أبيات هارون الرشيد[٢٧]: (الكامل)

ملك الثلاث الآنسـات عناني وحللن من قلبي بكل مكـانِ
مالي تطاوعني البرية كلـها واطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أنَّ سلـطان الهوى وبه قوين أعزُّ من سلطـاني

" فحاكاه في معانيه وعدد معشوقاته"[٢٨] ، وخضوعه لسلطان الهوى وهو الخليفة الذي يهابه الجميع ويخضع له، وكانت تلك هي البؤرة التي وقف عليها النصان .

فتكون المعارضة مُعَبِّرة بأداء شعري جديد مرتبط بروح العصر وموضوعاته الجديدة ، ولتعبر كذلك عن ارتباط الشعراء مع بعضهم واشتراكهم الفني .في النظرة إلى الحياة وأسرارها الجمالية .

الخاتمة

إلى هنا يتضح إن المعارضة الشعرية قد استوعبت الوظيفة التي اعتنقها الشعراء في العصر العباسي ، فجاء بحثنا هذا ببعض النتائج منها :

١. إن المعارضة نجحت بوصفها أداة للتعبير الفني عن دقائق حياتهم الجديدة ، إذ جاء الأداء الشعري مرتبطاً بروح التجديد المتولدة مع روح العصر وعمق الإنزياحات التي اهتز لها المجتمع العباسي .
٢. قد لا يلتزم الشاعر المعارض بوحدة الإطار الخارجي للقصيدة ؛ لكن المعارضة تتكشف من خلال المقصدية المعلنة ، والآصرة التي تجمع هدف وغرض شاعري القصيدتين التي تعلن عن اشتراكهما في الرؤية النصية .
٣. احتلت المعارضة المساحة التي تليق بها بوصفها فنا إبداعيا في بطون كثير من الدواوين لشعرائنا الكبار .
٤. كشفت المعارضات في هذا العصر عن روح الوظيفة الجديدة للشعر المرتبطة بدقائق الحياة الجديدة التي خضع لها المجتمع العربي في ذلك العصر .
٥. استوعبت المعارضة مستويات الأداء الشعري ، وعلى تنوع الأغراض التي قصدها الشعراء . وموضوعات شعرية جديدة ، فعكست المعارضة مساحة فنية استثمرها الشعراء خير استثمار في عكس روح عصرهم وحاجات زمانهم من التعبير والأداء الفني.
٦. شكل الحضور للأخر الفني ، أحد أهم الدوافع التي انطلقت منها معارضات هذا العصر .

Abstract

The Art of Dissent and the New Poetic Function

Keywords: dissent

Asst. Prof.Dr Mona Sh. Tawfeeq Elqeisi
Diyala university / College of education for Human sciences

Adil G. Sajim

The paper deals with poetic dissent and the new poetic function in an epoch in which the Arabic poet has abandoned the desert with its night and fatigues and moved towards the city with its buildings and decorations. If the function of poetry is in answering life's questions,

the dissent did not leave sticking to confront these questions. Therefore, there have appeared many opposition attitudes through which poets labored to express their aptitudes and to cope with this function. The opposition was but an artistic space through which poets were able to prompt those changes and the social and intellectual revolutions in the Arabic society during that period of time by virtue of distinct performance approaches. The paper focuses on some of them like; dissent and political affiliation, model opposition, harmonic dissent, answering opposition, and opposition and the new topics. Thus these attitudes were a mirror of the Arabic poet's development artistically and intellectually.

الهوامش

١. الشعر ومتغيرات المرحلة (جولة الحداثة وحوار الإشكال الشعرية الجديدة) : ٤٣
٢. م . ن : ٤٤
٣. م . ن : ٤٤
٤. تاريخ النقائض : ٧
٥. الشعر ومتغيرات المرحلة : ٤٤
٦. ديوان أبي تمام : ٣/ ١٥٢
٧. ديوان أبي نواس : ٥٧٥
٨. م . ن : ٥٧٥
٩. ديوان أبي تمام : ١٥٣
١٠. ديوان مروان بن أبي حفصة : ١٠٤
١١. الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: ٢٧
١٢. ديوان ذي الرمة : ١٠
١٣. الحماسة في شعر شريف الرضي :١٤٦
١٤. ديوان الشريف الرضي : ٦٧٩
١٥. ديوان المتنبي : ١٠
١٦. الحماسة في شعر شريف الرضي : ١٧٢
١٧. ديوان الشريف الرضي : ٥٧٥
١٨. ديوان بشار بن برد : ١٦٦
١٩. ديوان أبي تمام :٢١٦
٢٠. ديوان بشار بن برد، :٣٢٥

٢١. تاريخ المعارضات في الشعر العربي : ٣٥ .
٢٢. ديوان أبي فراس الحمداني : ٤٥
٢٣. ديوان المتنبي : ١٨٢
٢٤. ديوان ابن الرومي : ٤١٢/١-٤١٣
٢٥. زهر الآداب : /٥٦٦-٥٩٧
٢٦. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس :٢١٢
٢٧. البيان المغرب في أخبار المغرب :١١٨/٣
٢٨. م . ن : ٣/ ١١٩

المصادر والمراجع

- البيان المغرب في أخبار المغرب ، ابن عذارى المراكشي (ت ٧٠٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٠م .
- تاريخ المعارضات في الشعر العربي :محمود قاسم نوفل ، ،ط١،بيروت،١٩٨٣م.
- تاريخ النقائض في الشعر العربي القديم ، أحمد الشايب ، مطبعة السعادة – مصر، ط١، ١٩٥٤م .
- جذوة المقتبس : تأليف أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميري، (ت٤٨٨هـ) نشر وتصحيح، كتب الثقافة الاسلامية لمؤسسة العطار الحسيني ومديره عزت ، القاهرة.
- الحماسة في شعر شريف الرضي : محمد جميل شلش ، مكتبة العالمية للطباعة والنشر ، الباب الشرقي ، ط٢، ١٩٨٥ م .
- ديوان ابن الرومي : شرح أحمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٢ م.
- ديوان أبي تمام : بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبدة عزام ، دار المعارف ، ط٤.
- ديوان أبي فراس الحمداني : شرح د. خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت . ط٢ ، ١٩٩٤ م .
- ديوان أبي نواس : دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م .

- ديوان بشار بن برد : شرح الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م .
- ديوان ذي الرمة: مراجعة وتقديم زهير فتح الله ، دار صادر – بيروت ،١٩٩٥م .
- ديوان الشريف الرضي : المطبعة الأدبية ، بيروت ١٣٠٩ هـ.
- ديوان المتنبي : : بشرح العلامة أبي البقاء عبدالله العكبري البغدادي ، ضبط نصوصه وأعد فهارسه وقدم له د. فاروق الطباع ، طباعة شركة الأرقم للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٧م.
- زهر الآداب : أبو إسحاق إبراهيم بن علي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي وشريكاه.١٩٥٣م ، ط١ .
- الشعر ومتغيرات المرحلة (جولة الحداثة وحوار الاشكال الشعرية الجديدة) :د. عبدالسلام المسدي ، د. عبد الواحد لؤلؤه ، د. سلمان الواسطي ، د. فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية – بغداد – الأعظمية، ط١، (د.ت)
- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: د. نعمان القاضي ، دار المعارف شرح الهاشميات ، ط ١، (د. ت).